

سلسلة «أحد المغامرات العالمية»

طوم صوير



سلسلة «أهل المغامرات العالمية»

طوم صوير

إعداد الدكتور جوزيف أبو نجم



الرّسوم ولوحة الغلاف: سليم صوايا

© مكتبة التّامير

جميع الحقوق محفوظة - ١٩٩٧



«آه! سَوْفَ أَلْقِيكَ دَرَسًا..!» عِبَارَةٌ كَانَتْ الْعَمَّةُ بُولِي تُرَدِّدُهَا عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ كُلَّ يَوْمٍ... وَلَكِنَّهَا كَانَتْ، كُلَّ مَرَّةٍ، تَتَمَالَكُ نَفْسَهَا. فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ طَوْمِ صُوَيْرِ كَانَ وَلَدًا مُشَاغِبًا، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تُحِبُّهُ مِثْلَ حُبِّهَا لِأَوْلَادِهَا. فَالصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ فَقَدَ وَالِدَيْهِ، فَتَعَهَّدَتْهُ الْعَمَّةُ بُولِي، وَأَقْسَمَتْ عَلَى تَرْبِيَتِهِ كَأَوْلَادِهَا. لَكِنَّ الْمُهَيِّمَةَ كَانَتْ شَاقَّةً، لِأَنَّ طَوْمِ كَانَ يُفَضِّلُ ضِيفَانَ الْأَنْهَارِ وَصَيْدَ الْأَسْمَاكِ، أَكْثَرَ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى مَقَاعِدِ الْمَدْرَسَةِ.

في هذا الصباح، كان طوم على الطوف مع صديقيه جو وهاكليري، الذي كان
الجميع ينادونه «هاك». أما هاك، فقد كان أكثرهم شقاوة، لأنه لم يكن لديه أحد ليهدب
أخلاقه؛ حتى إنه لم يكن لديه منزل: كان ينام، صيفا وشتاء، في برميل! وقد أحب ذلك
كثيرا. أما حلمه الأكبر فهو أن يصبح قراصنا! «هجوم! إلى الأمام!» صرخ الأولاد الثلاثة
لدى مرور السفينة البخارية بقربهم، في النهر.





عَادَ طُومٌ مُتَأَخِّرًا إِلَى الْمَنْزِلِ، فَصَاحَتْ عَلَيْهِ الْعَمَّةُ بُولِي: «سَوْفَ أَلْقِيكَ دَرَسًا..!» لَكِنَّهَا
 تَمَالَكْتُ نَفْسَهَا - كَالْعَادَةِ - وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تُضْرِبَهُ، فَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُمِضِيَ نَهَارَ الْعُطْلَةِ وَهُوَ
 يَدَهْنُ السِّيَاحَ الْخَشَبِيَّ فِي الْحَدِيقَةِ. إِنَّمَا طُومٌ كَانَ يُفَضِّلُ أَنْ يُضْرَبَ: فَالضَّرْبُ يُوجِعُ،
 وَلَكِنَّهُ قِصَاصٌ يَنْتَهِي سَرِيعًا، وَيَزُولُ مَفْعُولُهُ سَرِيعًا!

عِنْدَمَا أَنهَى طوم قِصَاصَهُ، فَصَدَّ البَيْتَ المَهْجُورَ فِي طَرَفِ القَرْيَةِ، حَيْثُ كَانَ هَاكِ فِي
أَنْظَارِهِ. وَكَانَا قَدْ أَسْمَيَا هَذَا المَكَانَ «بَيْتَ الأَشْبَاحِ»! لَكِنَّ الرِّجَالَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا فِي البَيْتِ
لَمْ يَكُونَا سَبَّحَيْنِ! «هَلْ رَأَيْتَ؟» قَالَ هَاكِ، «إِنَّهُ جُو الهِنْدِيِّ وَشَرِيكُهُ، يُدَبِّرَانِ أَمْرًا مَا! وَأُقْسِمُ
أَنَّ فِي الصُّنْدُوقِ كَثْرًا!»





فِي الْيَوْمِ التَّالِي، عَادَ الرَّجُلَانِ إِلَى «بَيْتِ الْأَشْبَاحِ»، وَحَمَلَا الصُّنْدُوقَ، دُونَ أَنْ يُلَاحِظَا
 أَنَّ هَاكَ يُرَاقِبُهُمَا. تَبِعَهُمَا الصَّبِيُّ بِخَفْيَةٍ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي صَدِيقِهِ طَوْم؛ فَالْمِسْكِينُ لَمْ يَسْتَطِعْ
 أَنْ يَهْرُبَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ. «لَا شَكَّ فِي أَنَّ طَوْم يَكَادُ يَمُوتُ مِنَ الضَّجْرِ، بَيْنَ الْكُتُبِ
 وَالِدَّفَاتِرِ، فِيمَا أَنَا أَعِيشُ مُغَامِرَةً شَائِقَةً! شَائِقَةً، وَلَا شَكَّ، لَكِنَّهَا خَطِرَةٌ... فَلَنْتَبَهُ...»

كَمْ كَانَ هَاكَ مُخْطِئًا! فَلَمَرَّةً، لَمْ يَكُنْ طُومَ ضَجِيرًا لِأَنَّ فِي صَفِّهِ، الْيَوْمَ، تَلْمِيزَةً
جَدِيدَةً، جَمِيلَةً كَأَمِيرَةٍ وَأَسْمُهَا بَكِي! وَبِلَحْظَةٍ أُعْجِبَ طُومَ بِهَا؛ فَأَخَذَ وَرَقَةً صَغِيرَةً وَكَتَبَ
عَلَيْهَا «أَنْتِ جَمِيلَةٌ جِدًّا»، ثُمَّ طَوَاهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا... وَيَا لِلْمُفَاجَأَةِ! فَبَدَلًا مِنْ أَنْ
تَغْضَبَ، كَمَا كَانَ طُومَ يَتَوَقَّعُ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِخَجَلٍ، وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِسَمَّةٍ سَاحِرَةٍ، جَعَلَتْهُ يَطِيرُ
مِنَ الْفَرَحِ!





هكذا، نسي طوم الكثير، والرجلين الغامضين وصديقه هاك أيضاً، الذي انتظره طوال
المساء دون جدوى! فقد ذهب طوم مع صديقه في نزهة لطيفة. وأراد أن يريها مغارة في
الجبل. «لا تخافي.. فأنا أعرف المغارة تمام المعرفة. سوف ترين.. إن الأمر جدير
بالمغامرة!» وإذا رآها مترددة، تجرأ وأمسك بيدها ليقودها إلى الداخل...

مَرَّتْ دَقَائِقُ دَاخِلِ الْمَعَارَةِ، وَتَدَاثَ حِمَاسَةُ صَوْمِ تَجِفٍّ؛ فَهِيَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سِوَى
فَدْحِ الْمَعَارَةِ، وَعَلَى الرَّعْمِ مِنَ الْمَشَاغِبِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَعَدَّهَا وَأَحْضَرَهَا مَعَهُ، فِيهِ نَعْدَ
أَتَقَالِيهِ مِنْ سِرْدَابٍ إِلَى آخَرَ، وَمِنْ مُنْعَصِبٍ إِلَى آخَرَ، أَحْسَنَ بَأَنَّهُ أَضَاعَ طَرِيقَهُ!

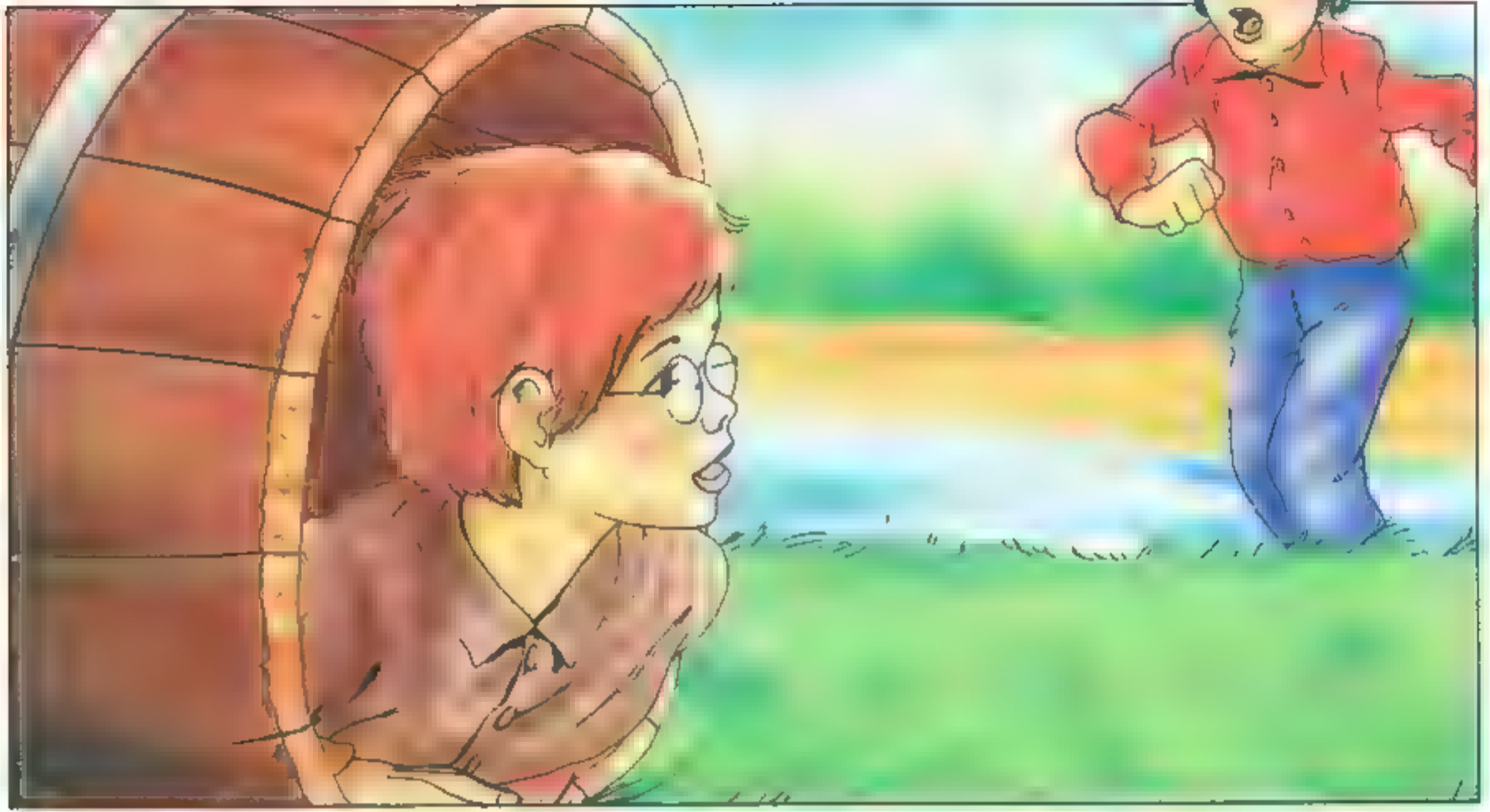




إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْخَلَاصِ عَادَ فَجْأَةً، عِنْدَمَا سَمِعَ الْوَالِدَانِ وَقَعَ حُصُوبَاتٍ فِي الْمَغَارَةِ، وَظَهَرَ
 رَجُلٌ فِي يَدِهِ فَنُورٌ. كَادَتْ بَكِي تَصْرُخُ مِنَ الْفَرَجِ، لَوْ لَمْ يُسَكِّتْهَا صُومَ فَحْأَةً، وَقَدْ ائْتَرَاهُ
 خَوْفٌ شَدِيدٌ: «إِنَّهُ حَوَّ الْهَيْدِيُّ... وَهُوَ إِصْرٌ حَصْرًا! إِذَا رَأَانَا فَلَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ!» وَبَدَأَ الْهَيْدِيُّ
 مَسْرُورًا، يُحَاجِبُ نَفْسَهُ قَائِلًا: «إِنَّ الْكَثْرَ مُخْبَأً تَمَامًا، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ إِطْلَاقًا أَنْ يَكْتَشِفَهُ
 هُأ! هُأ! هُأ! هُأ!»

لَمَّا حَرَجَ لِهَيْدِي، عَرَفَ صَوْمَ أَنْ هَاكَ كَانَ مُجِئًا، حِينَ قَدِ إِنْ فِي الصُّدُوقِ كَثْرًا!
لَكِنَّ هَمَّ نَكِي أَوْحِيدًا، كَانَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَغَارَةِ... سَابِحَةً! وَنَعْدَ أَقَلِّ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقَ،
وَوَحْدَ صَوْمَ مَحْرَجًا، أَوْصَلَهُ وَصَدِيقَتَهُ فَوْقَ الشَّهْرِ. وَهَذَا، رَأَى زُرُقَيْنِ يَتَحَمَّلَانِ رِحَالًا مِنْ
الْقَرْيَةِ، حَرَجُوا لِلْبَحْثِ عَنْهُمَا. وَمَا لَيْتَا أَنْ صَجِدَا إِلَى أَحَدِ زُرُقَيْنِ، وَعَادَا إِلَى الْقَرْيَةِ.





إِنَّهَا الْمَرْءُ الْأُولَى الَّتِي تَصِيحُ فِيهَا الْأَعْمَةُ بُولِي فَرَحًا، لَا عَضْبًا: فَقَدْ كَانَتْ مَشْرُورَةً جِدًّا
 بَعُودَةَ طُوم حَيًّا! وَلَكِنْ، فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، عَادَ طُومُ إِلَى سَابِقِ عَادَتَيْهِ: فَانْتَسَلَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ،
 وَأَنْطَاقَ عِنْدَ صَدِيقِهِ هَاكَ الَّذِي اسْتَقْبَلَهُ بِقَوْلَيْهِ: «يَا لَكَ مِنْ جَبَابٍ! تَرَكْتَنِي وَحِيدًا، فَلَمْ أَسْتَطِعْ
 الْمُحَاقَ بِاللَّصِيفِ، وَأَصْطُرْتُ إِلَى إِعْلَامِ رَئِيسِ الشَّرْطِيَّةِ. إِنَّهُمَا يَتَوَيَّانِ قَتْلَ أَرْمَلَةِ الْقَاضِي! لَقَدْ
 ضَاعَ عَلَيْنَا الْكَمْرُ!»

«أَبَدًا... لَمْ يَضِعْ شَيْءٌ!» صَاحَ طُومُ. وَأَخْبَرَ صَدِيقَهُ عَنْ مُغَامَرَتِهِ فِي الْمَعَارَةِ.

المُهْمَةُ الآنَ، هُوَ جِمَايَةُ أَرْمَلَةِ الْقَاضِي مِنَ الْخَطَرِ. فَفِي الْمَسَاءِ، رَافَقَ الْمُصِيبَانِ رَئِيسَ
الشُّرْطَةِ وَرِجَالَهُ إِلَى مَنْزِلِ الْأَرْمَلَةِ، حَيْثُ كَمَنُوا بِالضَّيْلِ. وَهُنَاكَ أَخْبَرَتْهُمُ الْأَرْمَلَةُ أَنَّ رَوْحَهَا
كَانَ قَدْ حَكَمَ عَلَى الْهِنْدِيِّ بِالسَّجْرِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَبِالْهَدَاءِ، يُرِيدُ الْهِنْدِيُّ أَنْ يَنْتَقِمَ الْآنَ مِنْهَا.





فَجَاءَ، صَاحَ أَحَدُهُم: «هَا هُمَا! الْهَاقُوا بِهِمَا!» وَكَانَ اللَّصَانِ قَدِ اقْتَرَبَا مِنَ الْمَنْزِلِ،
لَكِنَّهُمَا أَحْسَا بِوُجُودِ الشُّرْطَةِ، فَحَاوَلَا الْهَرَبَ. وَوَلَّحَقَ بِهِمَا رَئِيسُ الشُّرْطَةِ وَرِجَالُهُ، لَكِنَّهُمْ
أَضَاعُوهُمَا فِي الْحُقُولِ، وَبَيْنَ الْأَشْجَارِ، لِأَنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَظْهَرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ. وَصَاحَ رَئِيسُ
الشُّرْطَةِ: «أَحْضِرُوا الْكِلَابَ...»

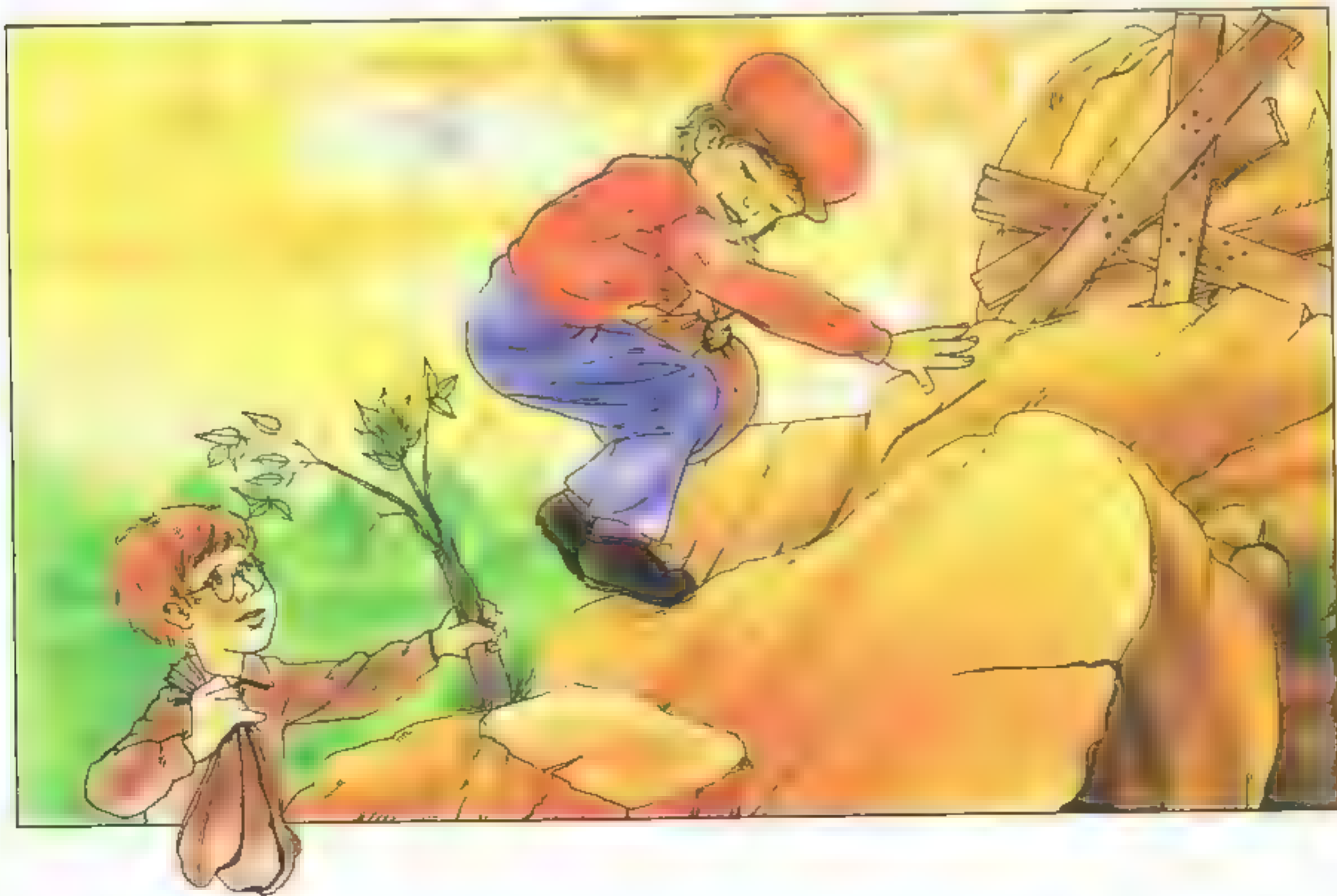
لَكِنَّ طُوم هَمَسَ لَهُ: «لَا تُرَوِّدِ الْكِلَابَ». أَضْرَبْتُهُمَا مُحْتَبِدٍ فِي عَرَبِيَّةِ الْقَشِّ هَذِهِ. فَقَدْ
رَأَيْتُ كَوْمَةَ الْقَشِّ تَتَحَرَّكُ، مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ» أَمَرَ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ رِحَالَهُ، فَزَحَفُوا وَانْقَضُوا
عَلَى الْعَرَبِيَّةِ وَوَالْمَعْبِ، ضَمُّوا لِلصَّبِيِّ مُحْتَبِدٍ فِيهَا! إِرْتَاخَتْ أَرْمَلَةُ الْقَاضِي بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَى
الرَّجُلَيْنِ. وَكَمْ تَأَثَّرَتْ بِشِحَاعَةِ وَشَهَامَةِ الصَّبِيِّينِ، وَبِخَاصَّةِ عِنْدَمَا عَلِمَتْ أَنَّ هَاكَ مُتَشَرِّدًا، لَا
وَالِدَيْنِ وَلَا مَأْوَى لَهُ! لَكِنَّ هَاكَ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يُشْفِقَ عَلَيْهِ أَحَدٌ.





في اليَوْمِ التَّالِي، قَصَدَ طُومَ صَدِيقَهُ، وَعَلَامَاتُ الْإِنْشِرَاحِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ لَهُ:
لَقَدْ أَحْضَرْتُ مَعِيَ أَرْبَعَةَ أَكْيَاسٍ، أُمِرُ أَنْ تَكْفِينَا. وَوَضَعْتُ فِي أَحَدِهَا حَبْلًا لِتَسْلُقَ، وَسِكِّينًا
«أَسْتَعْرَثُهُ» مِنْ مَصْبِخِ عَمَّتِي، وَخَيْطًا طَوِيلَهُ مِثْنَا مِثْرًا! فَصَاحَ هَاكَ مُنْذِهْشًا: «مِثْنَا مِثْرًا! مَاذَا
سَتَفْعَلُ بِهِ؟!» لَكِنَّ طُومَ لَمْ يُجِبْهُ...

وَضُّ سَاكِنًا حَتَّى وَصَلَا إِلَى الْمَغَارَةِ، حَيْثُ خَبَأَ الْهَيْدِيُّ الْكَثْرًا وَكَانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ قَدْ
قَامُوا بِسَدِّ مَدْخَلِ الْمَغَارَةِ بِالْحِجَارَةِ الضُّخْمَةِ وَالْأَشْجَابِ، بَعْدَ أَنْ ضَاعَ دَاخِلَهَا طُومٌ
وَصَدِيقَتُهُ، وَذَبِكَ إِقْلًا يَصِيعٌ فِيهَا أَوْلَادٌ آخَرُونَ. فَدَارَ طُومٌ حَوْلَهَا، وَوَصَلَ إِلَى الْمَخْرَجِ الَّذِي
سَلَكَهُ مَعَ صَدِيقَتِهِ. عِنْدَئِذٍ، أَخْرَجَ الشَّرِيطُ وَقَالَ: «سَرَّبْتُهِ إِلَى جِدْعِ هَذِهِ الشَّحْرَةِ، وَتَمُدَّهُ
مَعَنَا إِلَى الدَّاخِلِ، فَيُرِيدُنَا إِلَى طَرِيقِ الرَّجْعَةِ!»





وَهَكَذَا فَعَلَ الصَّيَّانُ؛ فَدَخَلَ الْمَغَارَةَ وَبَحَثَا طَوِيلًا، حَتَّى كَادَ الشَّرِيطُ يَنْتَهِي. وَفَجْأَةً، وَجَدَا صُنْدُوقَ الْكَثْرِ مُخْتَأً فِي إِحْدَى الزَّوَايَا، وَمَخْتَوِمًا بِقِفِّ حَدِيدِيٍّ. أَخْرَجَ طُومَ السُّكَيْنِ الَّذِي «اسْتَعَارَهُ» مِنْ عَمَّتَيْهِ، وَفَتَحَ الْقِفْلَ. ثُمَّ رَفَعَ غِضَاءَ الصُّنْدُوقِ، فَلَمَعَتِ الْقِطْعُ الذَّهَبِيَّةُ...! وَبِسُرْعَةٍ، عَبَأَ طُومَ وَهَاكَ الْأَكْيَاسَ الْأَرْبَعَةَ، وَعَادَا إِلَى الْقَرْيَةِ.

عِنْدَ وُصُولِهِمَا، فَوَجِئَا بِالسُّكَّانِ يُسْرِعُونَ نَحْوَهُمَا، وَيَأْخُذُونَهُمَا عِنْدَ أَرْمَلَةِ الْقَاضِي.
وَهُنَاكَ كَانَ فِي أَنْتِظَارِهِمَا خَبْرٌ سَعِيدٌ: لَقَدْ قَرَّرَتِ الْأَرْمَلَةُ أَنْ تَتَّبِعَنِي هَاكَ، فَتُؤَمِّنَ مَعِيشَتَهُ
وَتَرْبِيَّتَهُ وَتَعْلِيمَهُ! صَدِمْ هَاكَ بِالْخَبْرِ، لَكِنَّ طَوْمَ قَالَ: «صَحِيحٌ أَنَّ هَاكَ يَتِيمُ الْأَبَوَيْنِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ
فَقِيرًا.. إِنَّهُ الْآنَ غَنِيٌّ!»





وَفَتَحَ طُومَ أَحَدِ الْأَكْيَاسِ، فَانْبَهَرَ كُلُّ الْحَاضِرِينَ مِنْ لَمَعَانِ الْقِطْعِ الذَّهَبِيِّ فِيهِ، مَا عَدَا
 الْعَمَّةَ بُولِي؛ فَإِنَّهَا، مِنْ كُلِّ الْقِطْعِ اللَّامِعَةِ، لَمْ تَرَ إِلَّا سِكِّينَهَا الَّذِي كَانَتْ أَضَاعَتْهُ،
 فَصَاحَتْ: «يَا إِلَهِي! لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ! آه! سَوْفَ أَلْقِيكَ دَرْسًا..!»

أَسْئَلَةٌ

- (١) هَلْ كَانَتِ الْعَمَّةُ بُولِي تَضْرِبُ طوم؟
- (٢) لِمَاذَا عَادَ طوم مُتَأَخِّرًا إِلَى الْمَنْزِلِ؟ وَلِمَاذَا صَاحَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ؟
- (٣) لِمَاذَا نَسِيَ طوم صَدِيقَهُ هَاكِ وَمَسْأَلَةَ الْكَثْرِ؟
- (٤) هَلْ كَانَ طوم يَعْرِفُ الْمَغَارَةَ؟ مَاذَا كَانَتِ الشَّيْجَةُ؟
- (٥) مَاذَا كَانَ الْهِنْدِيُّ يَفْعَلُ فِي الْمَغَارَةِ؟
- (٦) هَلْ كَانَ رِجَالُ الْقَرْيَةِ يَهْتَمُّونَ بِأَوْلَادِهِمْ؟ كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ؟
- (٧) أَيْنَ اخْتَبَأَ اللُّصَانِ عِنْدَمَا لَاحَقَهُمَا الرَّجَالُ؟
- (٨) لِمَاذَا أَحْضَرَ طوم مَعَهُ إِلَى الْمَغَارَةِ خَيْطًا طَوِيلًا مِثْلًا مِثْرًا؟
- (٩) مَا الْمُفَاجَأَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَنْتِظَارِ طوم وَهَاكِ عِنْدَ عَوْدَتَيْهِمَا إِلَى الْقَرْيَةِ؟
- (١٠) تَخَيَّلْ مَا حَدَّثَ بَيْنَ طوم وَعَمَّتِيهِ، بَعْدَ انْتِهَاءِ الْقِصَّةِ.
- (١١) إِسْرَحِ الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةَ:

- أَلْقُنْكَ (ص ٥) • تَعَهَّدْتُهُ (ص ٥) • الطُّوفِ (ص ٦) • شَائِقَةٌ (ص ٩) • فَأَنْسَلُ (ص ١٥) • كَمَنُوا (ص ١٦) • انْقَضُوا (ص ١٨) • الإِنْشِرَاحُ (ص ١٩) • سَلَكُهُ (ص ٢٠) • تَتَبَّنِي (ص ٢٢) • فَأَنْبَهَرَ (ص ٢٣) •

سلسلة «أحلك المغامرات العالمية»

النَّجْمَةُ الْبَيْضَاءُ

الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ

رُوبِنُ هُود

طُومُ صُوير

جَزِيرَةُ الْكَنْزِ

